

الحلقة العاشرة: توقف إقامة وتطبيق جل أحكام الشريعة الغراء (الأمر) عليها، وتولي (ولي الأمر) ذلك التطبيق

للرجوع لصفحة الفهرس اضغط هنا

الخلافة: الإمامة الكبرى، والرئاسة التامة

وإذا تأملنا في واقع الخلافة نرى أنها التجسيد العملي لولاية الأمر، أي أمر تنفيذ الأحكام، كل الأحكام والتي جمعها الشارع تحت مسمى "الأمر" ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 18]، وسمى المتصرف بها "ولي الأمر"، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]، وجعله مسئولاً عن تنفيذ تلك الأحكام، بيعة الأمة له على ذلك التنفيذ، وطاعتها له، فالخليفة هو الإمام الأكبر، وولي الأمر، والخلافة هي الإمامة الكبرى¹، والرئاسة التامة الكاملة العامة، فإن هذا يبين لماذا نقول بأنها الفرض الحافظ للفروض، أو تاج الفروض! فجل الواجبات متوقف عليها لا يوجد إلا بوجودها! فإذا كان الخليفة هو الإمام الأكبر، والخلافة هي الإمامة الكبرى فإن فرض إيجادها هو من أعظم الفروض!

وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ:

قال في القاموس المحيط: الأمر: ضد النهي، وأمره فأتمر، و: الحادثة، ج: أمور، ومصدر أمر علينا، مثلثة: إذا ولي، الإمرة، بالكسر. وقول الجوهر: مصدر، وهم. وله علي أمره مطاعة، بالفتح للمرة منه، أي: له علي أمره أطيعه فيها. والأمير: الملك، وهي بهاء، بين الإمارة، ويفتح، ج: أمراء، والمؤمر، كمعظم: المملك، والمحدد، .. وأولو الأمر: الرؤساء، والعلماء. إ.هـ.

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: وقال الراعي (النميري) يخاطب عبد الملك بن مروان²:

أُولِيَّ أَمْرِ اللَّهِ إنا معشر حُنفاء نسجد بكرة وأصيلاً

إ.هـ.

يؤلف الشرع مجموع الأوامر والنواهي التي نزلت على الأمة لتسوس حياتها بها، وقد أطلق الشارع عليها اسم: الأمر، من باب وجوب الطاعة والانقياد لها، من هنا أمر الرعية بطاعة أولي الأمر والانقياد لهم، وقد يكون الأمر بمعنى الحوادث، فأولو الأمر يستنبطون الأحكام المتعلقة بالحوادث، ويرعون الشؤون بناء على هذه الأوامر والنواهي، فارتباط

¹ والخليفة يأخذ الزكاة ليضعها في مصارفها، ويحفظ الأمن ويكون جنة للأمة، ويقوم الأنظمة السياسية التي ترضى شؤون الأمة، الاجتماعية والاقتصادية والقضاء والعقوبات والسياسات التعليمية والمالية والإعلامية والحربية وما إلى ذلك،

² وقال في قصيدته: "أُولِيَّ أَمْرِ اللَّهِ إنا معشر حُنفاء نسجد بكرة وأصيلاً".

كلمة أولي الأمر بالسياسة جد وثيق، وأمتن منه عروة، أن السياسة هذه إنما تكون بإنزال أحكام الله على الوقائع والحوادث، ليسوس الناس حياتهم وفق نظام الإسلام، من هنا كان الارتباط بين الدين أي الشرع والسياسة ارتباطاً عضوياً لا ينفصم إلا عند من جهل.

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي رواه أحمد: «ثلاث لا يغفل عليهنَّ صدرُ مُسلمٍ: إخلاصُ العملِ لله عزَّ وجلَّ، ومُناصحةُ أولي الأمرِ، ولزومُ جماعةِ المُسلمينَ، فإنَّ دَعوتَهُم تُحِبُّ مِنْ وَرَائِهِمْ» قال ابن حجر في فتح الباري: قوله: (باب ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ذوي الأمر، كذا لأبي ذر ولغيره ﴿أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ذوي الأمر، وهو تفسير أبي عبيدة قال ذلك في هذه الآية وزاد: والدليل على ذلك أن واحداً ذو أي واحداً أولي لأنها لا واحد لها من لفظها. إ.هـ. قال ابن منظور في اللسان: قال ابن سيده: ومن خفيف هذا الباب أولو بمعنى ذوو لا يُفرد له واحد ولا يتكلم به إلا مضافاً، كقولك أولو بأس شديد وأولو كرم، كأنَّ واحده أُل، والواو للجمع، ألا ترى أنها تكون في الرفع واواً في النصب والجر ياء؟ وقوله عز وجل: ﴿وَأُولِي﴾ ﴿الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾؛... وجملة أولي الأمر من المسلمين من يقوم بشأنهم في أمر دينهم وجميع ما أدى إلى صلاحهم. إ.هـ. وقال الماوردي في الأحكام السلطانية: وفي أولي الأمر تأويلان: أحدهما أنهم الأمراء، وهذا قول ابن عباس رضوان الله عليهما. والثاني أنهم العلماء، وهذا قول جابر بن عبد الله والحسن وعطاء؛ وروى أبو صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني» إ.هـ. قال ابن حجر: ورجح الشافعي الأول (أي أنهم الحكام) واحتج له بأن قريشا كانوا لا يعرفون الإمارة ولا ينقادون إلى أمير، فأمرُوا بالطاعة لمن ولي الأمر، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «من أطاع أميرى فقد أطاعني» متفق عليه، إ.هـ. فترتيب الطاعة لأمرهم الذي يصدر عنهم ينبىك أن الأرجح فيها أنهم الحكام، وإن كان اللفظ جاء على الجمع فقال: وأولي الأمر، ولم يقل وولي الأمر، فإن الأمر يليه الخليفة ومن تحته جهاز حكم لكل فيه اختصاصه من الأمر، ومنهم الولاة على الأمصار لهم الطاعة، ومنهم الخلفاء على مر الزمان يتعاقبون، والرسول صلى الله عليه وسلم حين أرسل حذيفة على سرية أمرهم بطاعته، على أن آيات أخرى تكلمت في أولي الأمر، والراجح أنهم العلماء في تلك الآية، ولم تقرها بالطاعة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْحَافٍ أَدْعَوْا بِهِمْ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.